مراجعة مقال

روسيا الاوراسية كقوة عظمى جيوبولتيك الصراع وديبلوماسية النفط والغاز في الشرق الاوسط

Eurasian Russia as a great power Geopolitical Conflict and Oil and Gas Diplomacy in the Middle East

للمؤلف الكاتب: الدكتور وسين خليل قلعجية

قراءة بقلم: و. ربا صاحب عبد

العراق – جامعة بغداد- كلية الاعلام

لم تعد روسيا الاتحاد السوفيتي، لكنها لاتزال تشكل سبع مساحة العالم اذ تمتد على قارتين ، كما أنها عضو مؤسس في الامم المتحدة وتحتل أحد المقاعد الدائمة في مجلس الامن، وتعد احدى اهم الدول ذات القدرات العسكرية الفائقة والتقنيات العسكرية المتقدمة، وتتمتع بأحد اضخم اقتصاديات العالم، إذ لديها مخزون من الموارد الطبيعية يعد بين أكبر الاحتياطات في العالم وهي تشكل جزءاً مهماً من توازن الطاقة مع الكثير من الدول الاوربية والدول الابعد. لذا فأن القيادة في روسيا مسألة تهم العالم، وليس الروس فقط. لقد رأى الرئيس الروسي بوتين ان انهيار الاتحاد السوفيتي كان كارثة استراتيجية في القرن العشرين وكان من جهة يندب حظ روسيا بأنها قد فقدت اعضاءها في الجسد الايديولوجي والجيوبولتيكي والجيواقتصادي وأنها وجدت نفسها في عالم قد اصاب قواعده الخلل منذ ان

اسهم الاتحاد السوفيتي في خلق نظامه الدولي، ومن جهة ثانية؛ فان تشخيص بوتين لحقيقة النظام الدولي القائم كان تشخيصاً صائباً في اكثر مجالاته، لقد تغير الوضع القائم من نظام دولي يقوم على القطبية الثنائية الى حالة غير واضحة المعالم، تضاربت فيها التوقعات والاجتهادات في مستقبل النظام الدولي، وكل ذلك بتفصيل مشوق يشدنا لقراءة الجزء التالي من الكتاب والوقوف على تطوير مجالات الامن والاقتصاد والاستقرار لروسيا، وأثرها في صياغة استراتيجية فعالة تؤهلها لتحقيق اهدافها، وهذا ما اورد ذكرها المؤلف والتي تختلف باختلاف رؤية من يتبناها الا ان ذلك يعني بداية لاستراتيجية قيادية تبحث وتحلل في واحدة من اهم محركات السياسية العالمية ويكشف بشكل كامل عن التحديات العالمية والاقليمية المعاصرة لروسيا الاتحادية.

تضمن الكتاب سبعة عشر فصلاً مسبوقة بمقدمة تمهيدية تناول فيها الرؤية الجيوبوليتيكة التحليلية التي بينت الانجازات وحددت المعوقات التي واجهت روسيا الاتحادية لعقود مضت عبر تحديد وتشخيص تلك المعوقات، يبدا المؤلف فصله الاول بسرد:(جذور الصراع الدولي على النفط والغاز في الشرق الاوسط): واوضح فيه امتلاك روسيا مجموعة كبيرة من الموارد الطبيعية كالنفط والغاز الطبيعي والفحم والحديد والعديد من المعادن الاستراتيجية كالماس. كما ان الممرات البحرية تزيد من هامش حركة الدولة من خلال السفن التجارية والسفن الحربية وهو ما سيعزز القوة الاقتصادية والعسكرية للدولة وهو الأمر الذي يدفع روسيا منذ عقود الى محاولة تأمين حركة هذه السفن من خلال توثيق علاقاتها بالدول المطلة على هذه الممرات. اما مناخها فيتراوح بين رطب قاري في معظم روسيا الاوربية، وشبه قطبي شمالي في سيبيريا، الى مناخ قارس في القطب الشمالي، الشتاء يتراوح بين بارد على طول ساحل البحر الاسود الى متجمد في سيبيريا، الصيف يتراوح بين دافئ معتدل الى بارد على طول الساحل الشمالي. وتعتبر حالة التجمد السائدة في اغلبية سيبيريا العائق الأعظم امام التنمية فضلاً عن النشاط البركاني في جزر الكوريل والبراكين

والزلازل في شبه جزيرة كمشاتكة، أضافة للفيضانات الربيعية وحرائق الغابات في الصيف والخريف في عموم الاجزاء السيبيرية من روسيا الاوربية فضلاً عن ان الظروف المناخية القاسية والتضاريس وبعد المسافة تعيق استغلال الموارد الطبيعية.

وعنوان الفصل الثاني من الكتاب تمحور حول: (الجيوبوليتيك الروسي والصراع الدولي حول الهيمنة على الشرق الاوسط): وعنوان الكتاب يشير بالمضمون الفاعل والمزدوج الهدف بان روسيا القائدة دولة عظمى، والمستعيدة لهويتها الاوراسية من ناحية والجيوبوليتيك الذي يحكم سياسات العالم بأجمعه من ناحية اخرى. وكان محور الحديث في هذا الفصل يتمثل في اسلوب العرض الذي يبين لنا ان المتحدث هو شخص ملم بما يستعرض من معلومات زاخرة بالتفاصيل وتشخيص مكامن الخلل.

ويستعرض الفصل الثالث بشكل دقيق وبأثر رجعي،(ديبلوماسية الطاقة الروسية في الشرق الاوسط): ويشير الى إعادة دور روسيا الاتحادية في قطاعات الطاقة والصناعات العسكرية كآلية رئيسة في عملية صيانة الاقتصاد الوطني من أجل تعزيز دور الدولة وهيبتها في المجتمع الروسي، ولاستعادة دورها المفقود في النظام الدولي.

والفصل الرابع جاء بعنوان: (مكاسب ديبلوماسية الطاقة الروسية في الشرق الاوسط): إذ تتمتع روسيا الاتحادية بتنوع كبير في مصادر الطاقة التي تعد من المكاسب الحيوية في عالمنا، نظراً لمساحتها الشاسعة، فتمتلك ثروات ضخمة من الطاقة الطبيعية المتجددة إلى الوقت الحالي، ومن أهم مصادر الطاقة الروسية هي: الغاز الطبيعي، والنفط، والفحم، والطاقة النووية، وسعيها الدائم للسيطرة الاستراتيجية للطاقة في الشرق الاوسط عامه وسوريا خاصة.

والفصل الخامس جاء بعنوان: (استراتيجية انابيب النفط والغاز الروسية في اوراسيا): تتحكم شركة (غاز بروم) الروسية في (٩٠٪) من إنتاج الغاز الروسي، وفي أنابيب نقل الغاز، وهي تنتج (٢٠٪) من إجمالي الناتج العالمي، وتمتلك أطول شبكة أنابيب

لنقل الغاز الطبيعي في العالم بطول (١٥٠) ألف متر، وتمد الدول الأوروبية بربع حاجاتها من الغاز الطبيعي، وفي العام ٢٠٠٥، شهد ارتفاع أسعار الطاقة فقد رفعت الشركة إنتاجها إلى (١,١٣٪)، وزادت صادراتها إلى (٨٪)، وارتفعت أرباح شركة (غازبروم) الروسية إلى (٤٩٪)، ووصل صافي أرباحها إلى (١١,٦) مليار دولار، وتتحكم في أكثر من (٣٠٪) من احتياط الغاز العالمي. وحققت نتائج باهرة في رفع حجم الإنتاج عام ٢٠٠٦ إلى (١٠٥) مليارات متر مكعب أي ما يقارب (٢٠٪) من المستوى المتحقق من أسعار صادراته إلى دول أوروبا الغربية.

والفصل السادس جاء بعنوان: (قراءة في وقائع الصراع الجيوبولتيكي للنفط والغاز في الشرق الاوسط وشمال افريقيا): كونها دولة خبيرة بإدارة الصراعات الدولية والتفاعل معها، وهي تحظى بوضع إقليمي ودولي مميز. وبحكم كونها دولة قارية كبرى تقع في قلب أوراسيا كان لها مصالح مع الدول الأوروبية والآسيوية في ان واحد. إذ انها كجمهورية ذات امتدادين، أوروبي وآسيوي، قادرة على توظيف حضورها الإقليمي والدولي.

والفصل السابع جاء بعنوان: (انابيب الحرب والسلام، الصراع الدولي لمسارات انابيب نقل النفط والغاز في اوراسيا): ويعد تهديداً اقتصادياً لروسيا الاتحادية لأنها تمتلك خط انابيب (باكو – نوفارايسيك) الذي يتحكم باوربا وهذا ما شكل احد اوجه التنافس الامريكي الروسي على جورجيا، والذي يوازي العامل العسكري في اهميته بالنسبة للتنافس الامريكي – الروسي، فالطرف المتحكم بأنابيب نقل الطاقة في جورجيا يعطي لها ميزة استراتيجية مضافة في التنافس.

والفصل الثامن جاء بعنوان: (الجسر الاوراسي: مكمن التحدي الروسي للهيمنة الامريكية): وفي خضم هذه التحديات انبعثت الفكرة الروسية كعقيدة حلت محل الشيوعية، لإعادة التموضع والبناء الذاتي من خلال رسم المشروع الروسي المستقبلي

الذي يسعى الى استعادة المكانة والهيبة على الساحة الدولية ولعب دور لأثبات وجود روسيا كقوة عظمى واستعادة الفضاءات التاريخية للمجالات الحيوية الروسية.

والفصل التاسع جاء بعنوان:(الصراع السعودي- الامريكي والنظام العالمي الجديد لأسواق النفط، التقارب السعودي- الروسي وسياسة توازن المصالح): ويستعرض المؤلف في هذا الفصل الاستراتيجية المستقلة التي بدأت الرياض باتباعها. والولايات المتحدة الامريكية كانت ومازالت تسعى الى كسر الاحتكار الروسي لخطوط نقل الطاقة من قزوين واسيا الوسطى الى اوروبا، واستبعاد ايران بشكل نهائي عن ملف الطاقة في قزوين. وبالمقابل برزت تركيا عبر هذا الخط بانها طريق المرور الرئيس لنفط وغاز بحر قزوين الى اوروبا بالإضافة الى ما تستحصله من امتيازات كالنفط الخام المدعوم بأسعار تفضيلية، وواردات الشحن، وزيادة اهميتها في المنظور الغربي بوصفها جسراً لنقل الطاقة من الشرق الى الغرب.

والفصل العاشر جاء بعنوان:(الرد الامريكي على التعاون النفطي الروسي _ السعودي، تغيير اتجاهات الثروتين النفطية والمالية في مواجهة اوبك: اتبعت الولايات المتحدة الامريكية استراتيجية (القيادة من الخلف **Leading from behind**) ازاء التغييرات الاستراتيجية في المنطقة العربية، فاعتمدت في ادارتها على حلفائها الاقليميين وعلى القوى الدولية التي تؤثر عليها، من اجل ان لا تخرج تلك المتغيرات بنتائج تضر بمصالح امريكا وحلفائها في المنطقة. ويتضح ذلك من خلال قيامها بإعطاء السعودية وقطر مهمة تسليح وتقديم الدعم المالي لفصائل المعارضة في تلك الدول.

والفصل الحادي عشر بعنوان:(الوضع القانوني والتنافس الدولي على موارد بحر قزوين): وعلى اثر هذه الاهتمامات والتطلعات، لاسيما بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، حتى بدأ صانعو القرار الامريكي وضع خطط استراتيجية لتشييد نظام

جيوبوليتيكي في منطقة اوراسيا، لاسيما بعدما اسفرت التنقيبات عن وجود احتياطات ضخمة من النفط والغاز الطبيعي في دول اسيا الوسطى ومنطقة بحر قزوين، وكانت الدوافع الامريكية والدولية من وراء ذلك عديدة، منها : ما يتعلق بمواجهة تحديات النفوذ الصيني في اوراسيا وتمدد علاقاتها النفطية مع دول الجمهوريات الاسلامية في المنطقة؛ فضلا عن سياسة المحاصرة للنفوذ الروسي وابعاده عن السيطرة على الموارد الطبيعية هنالك.

والفصل الثاني عشر جاء بعنوان: (مسار المفاوضات المتعددة الاطراف حول بحر قزوين): عقد مشروع اتفاقات ومفاوضات حول النفط والغاز في منطقة بحر قزوين ، وهذه المفاوضات تناولت مسالة مد شبكة انابيب لنقل النفط والغاز من بحر قزوين الى الاسواق، لذا يمكن ان يعد اهتمام الولايات المتحدة ببحر قزوين واسيا الوسطى للتقليل من اعتمادها على نفط الخليج العربي ، وان وجود القواعد العسكرية الامريكية بالقرب من بحر قزوين يعد محاولة لتقوية الولايات المتحدة في اختيار طرق نقل نفط بحر قزوين.

والفصل الثالث عشر جاء بعنوان: (نص الاتفاقية الموقعة حول الوضع القانوني لبحر قزوين في القمة الخامسة لدول بحر قزوين المنعقدة في ١٢ اب ٢٠١٨): وتسعى هذه الاتفاقية بما يمكنها من الوصول الى ابواب الصين ومحاصرتها والحيلولة دون امكانية نشوء تحالف بين روسيا والصين لاسيما يعيد ما شهدته العلاقات بين البلدين من تحسن ملحوظ وابرامهما عدداً من اتفاقيات التعاون المشتركة.

والفصل الرابع عشر جاء بعنوان: (التنسيق الاوراسي: مياه بحر قزوين محرمة على الامريكيين): ويعتبر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ان هذا الاتفاق يشكل دستوراً بحقوق والتزامات دول حوض بحر قزوين، بالإضافة الى انه ضماناً للأمن والاستقرار وتطور المنطقة باجمها.

والفصل الخامس عشر جاء بعنوان: (العودة الى اللعبة الكبرى في اوراسيا): ان الحوار التقليدي حول دبلوماسية القيم ودبلوماسية القوة هو حوار عقيم في السياسة الامريكية، فهي ذات نهج كوني، ما تدعو له المحافظية الجديدة هو تكريس سياسة القبضة الحديدة على العالم.

والفصل السادس عشر جاء بعنوان: (سقوط اللعبة الكبرى الجديدة وكسر طوق التالاسوكراتيا، انتقام القوى البرية لاوراسيا): بمعنى ان الدولة كائن جغرافي يشغل حيزاً من الارض، وبالتالي؛ فان الجيوبوليتيكا تدرس العلاقة المتبادلة ما بين الحيز الجغرافي وما تطمح اليه من مد سلطتها السياسية والعسكرية من اراضي مجاورة، وتشكل الجغرافيا السياسية المنطلق لنشوء الجيوبوليتيكا.

والفصل السابع عشر جاء بعنوان: (المشهد الجيوبوليتيكي العالمي الجديد المتشكل نحو عالم متعدد الاقطاب): فشروط اللعبة الكبرى القديمة لم تعد تنطبق على اللعبة الكبرى الجديدة، فبدلا من صراع امبراطوريتان كانتا ترتكزان على منطقة اسيا الوسطى؛ اصبح هنالك العديد من القوى العالمية والاقليمية النشطة التي تعتمد على التوسع والمكسب الاستراتيجي.